لذلك يفرح الله تعالى بتوبة عبده حين يعود إليه بعد إعراض ، ويضرب لنا سيدنا رسول الله مثلاً لتوضيح هذه المسألة فيقول : « لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم وقع على بعيره ، وقد أضله فى فلاة »[1] .

فالله لا يحب الكافرين لأنهم لم يكونوا أهلاً لتناول هذا الفضل ، وما ذاك إلا لأنه سبحانه مُحِبٌّ لهم حريص على أن ينالهم خيره وعطاؤه .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

هذه نِعَم خمس من نِعَم الله على عباده .

فإرسال الرياح وحدها نعمة ، وتبشيرها بالمطر نعمة ، وإجراء الفُلْك نعمة ، والابتغاء من فضل الله نعمة ، ثم الشُّكْر على هذا كله نعمة أخرى .

والآيات : جمع آية ، وهى كما قلنا : الشيء العجيب الذى يجب أنْ يلفت الأنظار ، وألاَّ يغفل الإنسان عنه طرفة عَيْن ، ومن ذلك قولنا :

---

(١) حديث متفق عليه . أخرجه البخارى فى صحيحه (٦٣٠٩) وكذا مسلم فى صحيحه (٢٧٤٧) عن أنس بن مالك رضى الله عنه واللفظ للبخارى . و « وقع على بعيره » أى : صادفه وعثر عليه من غير قصد فظفر به بعد أنْ ضلَّ منه . والأرض الفلاة هى الصحراء المهلكة .

فلان آية فى الفصاحة ، أو آية فى الجمال .. إلخ .

وتُطلق الآيات ويراد بها معَان ثلاثة : آيات كونيـة تلفت إلى المكوِّن سبحانه ، وتثبت قدرة الخالق .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ .. (٣٧) ﴾ [فصلت]

وآيات بمعنى المعجزات التى تصاحب الرسل ؛ لتثبت صدْقهم فى البلاغ عن الله ، ثم الآيات التى تحمل الشرع والأحكام ، وهى آيات القرآن الكريم التى تحمل إلينا منهج الله .

وهنا يتكلم الحق سبحانه عن الآيات الكونية ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ .. (٤٦) ﴾ [الروم] كلمة الرياح جمع ريح ، والرياح هنا بالمعنى العام : الهواء ، وهو أنواع : هواء ساكن ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ .. (٣٣) ﴾ [الشورى]

والهواء الساكن يضايق الإنسان ، حيث يُصعِّب عليه عملية التنفس ، فيجلب الهواء لنفسه إما بيده أو بمروحة . لماذا ؟ ليجدد الأكسوجين فى الهواء المحيط به فيستطيع التنفس ، والهواء يأتى مرة ساخناً يلفح الوجوه ، ومرة نسيماً رطباً مُنعشاً عليلاً ، ويأتى عاصفاً مدمراً .. الخ .

والحق سبحانه - كما سبق أنْ بينَّا - رتَّب مقومات حياة الخليقة فى الأرض على : الهواء ، ثم الماء ، ثم الطعام على هذا الترتيب ، وحَسْب أهمية هذه المقومات . فالهواء هو أهم مُقوِّم فى حياة الكائن الحى ، حيث لا يصبر عليه الإنسان إلا لحظة بمقدار شهيق وزفير ولو حُبس عنه لمات . ثم الماء ويصبر عليه الإنسان إلى عشرة أيام . ثم الطعام ويصبر عليه إلى شهر .

لذلك من حكمة الخالق سبحانه ألاَّ يُملَّك الهواء لأحد ، ولو ملكه أحد وغضب عليك لمتَّ قبل أنْ يرضى عنك ، أما الماء فقليل أنْ يُملكه للناس ، أما الطعام فكثيراً ما يملك ؛ لأن الإنسان يصبر عليه فترة طويلة تُمكِّنه أن يكتسبه ، ويحتال عليه ، أو لعل مالكَ الطعام يرقّ قلبه ويعطيك.

لذلك نسمع من عبارات التهديد : والله لأكتم أنفاسه ، كأن هذه العملية هى أقسى ما يمكن فعْله ؛ لأنك قد تمنع عنه الماء أو الطعام ولا يموت ، لكن إنْ منعتَ عنهَ الهواء فهى نهايته ، وهى أسرع وسائل الإبادة للإنسان وأيسرها وأقلّها أثراً ، فلا يترتب عليها دم ولا جروح مجرد منديل مبلل بالماء . إذن : الهواء مُقوِّم هام حياة وإماتة .

وقلنا : إذا حُبس الهواء أو سكن لا يتجدد فيه الأكسوجين فيتضايق الإنسان ؛ لأن أنفاسه تكتم ، أما إذا حدثت فى المكان رائحة كريهة فترى الجميع يضج : افتحوا النوافذ ، لماذا ؟ ليتجدد الهواء .

إذن : إرسال الرياح فى ذاتها نعمة ، فإذا كان فيها برودة وشعرتَ بطراوتها فهى تُبشِّرك بالمطر ؛ لذلك كان العربى يعرف المطر قبل وقوعه ويُقدِّر مسافة السحابة التى ستمطره ، إذن : فالتبشير بالمطر نعمة أخرى .

وهاتان النعمتان إرسال الرياح وإنزال المطر ، لا دخلَ للإنسان فيهما ﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ .. (٤٦) ﴾ [الروم] أى : بالمطر أما فى آية الفلك ﴿ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ .. (٤٦) ﴾ [الروم] فنسب الجريان إلى الفُلْك لأن للإنسان يداً فيها وعملاً ، فهو صانعها ومُسيِّرها بأمر الله ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦) ﴾ [الروم] أى : تسيرون فى البحر للصيد وطلب الرزق ، أو حتى للنزهة والسياحة .

إذن : الآية التى لا دخلَ للإنسان فيها تُنسَب إلى الله وحده ، وإنْ كان

للإنسان فيها عمل نسبها إليه ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ (٦١) ﴾ [الواقعة]

فأعطانا نعمة الحياة ، ثم ذكر ما ينقضها ، حتى لا نستقبل الحياة بغرور ، ولما كانت آية الحياة وآية الموت لا دخلَ للإنسان فيها اكتفى بهذا الاستفهام ﴿ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) ﴾ [الواقعة] ولا أحدَ يستطيع أنْ يقول أنا خلقتُ .

أما في آية الحَرْث ، فنسب الحرث إلى الإنسان ؛ لأن عمله كثير في هذه الآية ، حيث يحرث ويبذر ويروى .. إلخ لذلك قال في نَقْض هذه النعمة ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا .. (٦٥) ﴾ [الواقعة] وأكدَ الفعل باللام حتى لا تغترّ بعملك في الزرع .

أما في الماء ، فلم يذكر هذا التوكيد ؛ لأن الماء نعمة لا يدَ للإنسان فيها ؛ لذلك قال في نقضها ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا .. (٧٠) ﴾ [الواقعة] بدون توكيد .

النعمة الخامسة : ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦) ﴾ [الروم] وهذه النعمة هي كنز النعم كلها وعقالها ، فإنْ شكرتَ لله نعمه عليك زادك منها : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ .. (٧) ﴾ [إبراهيم]

وبعد ذلك يُسلِّي الحق سبحانه رسوله ﷺ :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾

يعنى : يا محمد ، إنْ كنتَ تعبت فى الدعوة ، ولقيت من صناديد قريش عنتاً وعناداً وإيذاءً ومكراً وتبييتاً ، فنحن مع ذلك نصرناك ، وخُذْ لك أسوة فى إخوانك من الرسل السابقين ، فقد تعرَّضوا لمثل ما تعرضتَ له ، فهل أسلمنا رسولنا لأعدائه ؟ إذن : اطمئن ، فلن ينال هؤلاء منك شيئاً .

ومعنى ﴿ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ .. (٤٧) ﴾ [الروم] أى : الآيات الواضحات التى تثبت صدقهم فى البلاغ عن الله ، ومع ذلك لم يؤمنوا وكذَّبوا ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا .. (٤٧) ﴾ [الروم] وهنا إيجاز لأمر يُفهم من السياق ، فلم يقُل القرآن أنهم كذبوا ، إنما جاء بعاقبة التكذيب ﴿ فَانتَقَمْنَا .. (٤٧) ﴾ [الروم]

وهذا الإيجاز واضح فى قصة هدهد سليمان ، فى قوله تعالى : ﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) ﴾ [النمل] ثم أتبعها مباشرة : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) ﴾ [النمل] وحذف ما بين العبارتين من أحداث تُفهَم من السياق ، وهذا مظهر من مظاهر بلاغة القرآن الكريم .

وتكذيب الأمم السابقة للآيات التى جاءتهم على أيدى الرسل دليل على أنهم أهل فساد ، ويريدون أن ينتفعوا بهذا الفساد ، فشىء طبيعى أنْ يعاندوا الرسل الذين جاءوا للقضاء على هذا الفساد ، وأنْ يضطهدوهم ، فيغار الله تعالى على رسله ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا .. (٤٧) ﴾ [الروم]

ثم يقرر هذه القضية : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾ [الروم] وما كان الله تعالى ليرسل رسولاً ، ثم يُسلمه لأعدائه ، أو يتخلى عنه ؛ لذلك قال سبحانه فى موضع آخر : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ

كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)﴾ [الصافات]

وسبق أنْ قُلْنا : لا ينبغى أن تبحث فى هذه الجندية : أصادق هذا الجندى فى الدفاع عن الإسلام أم غير صادق ؟ إنما انظر فى النتائج ، إنْ كانت له الغلبة فاعلم أن طاقة الإيمان فيه كانت مخلصة ، وإنْ كانت الأخرى فعليه هو أن يراجع نفسه ويبحث عن معنى الانهزام الذى كان ضد الإسلام فى نفسه ، لأنه لو كان من جُنْد الله بحق لتحقق فيه ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)﴾ [الصافات] ولا يُغلب جند الله إلا حين تنحلّ عنهم صفة من صفات الجندية .

وتأمل مثلاً ما حدث فى غزوة أحد ، حيث انهزم المسلمون - وإنْ كانت كلمة الهزيمة هنا ليست على سبيل التحقيق لأن المعركة كانت سجالاً ، وقد انتصروا فى أولها ، لكن النهاية لم تكُنْ فى صالحهم ؛ لأن الرماة خالفوا أمر رسول الله[1] ، والهزيمة بعد هذه المخالفة أمر طبيعى .

وهل كان يسرُّك أيها المسلم أنْ ينتصر المسلمون بعد مخالفتهم أمر رسولهم ؟ والله لو انتصروا مع مخالفتهم لأمر رسولهم لهانَ كل

(١) أخرج البيهقى فى دلائل النبوة (٣/٢٠٩) عن موسى بن عقبة فى حديث طويل « أن رسول الله ﷺ أمر خمسين رجلاً من الرماة فجعلهم نحو خيل العدو ، وأمَّر عليهم عبد الله ابن جبير ، وقال لهم : أيها الرماة إذا أخذنا منازلنا من القتال فإن رأيتم خيل المشركين تحركت وانهزم أعداء الله فلا تتركوا منازلكم ، إنى أتقدم إليكم أن لا يُفارقن رجل منكم مكانه واكفونى الخيل ، فوعظ إليهم فأبلغ ، ومن نحوهم كان الذى نزل بالنبى ﷺ يومئذ والذى أصابه .. فلما أبصر الرماة الخمسون أن الله عز وجل قد فتح لإخوانهم ، قالوا : والله ما نجلس ها هنا لشىء ، قد أهلك الله العدو وإخواننا فى عسكر المشركين ، وقال طوائف منهم : علام نُصفُ وقد هزم الله العدو ، فتركوا منازلهم التى عهد إليهم النبى ﷺ الا يتركوها وتنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول » . الحديث .

أمر لرسول الله بعدها ، ولقالوا : لقد خالفنا أمره وانتصرنا . إذاً فمعنى ذلك أن المسلمين لم ينهزموا ، إنما انهزمت الانهزامية فيهم ، وانتصر الإسلام بصدْق مبادئه .

كذلك في يوم حنين الذي يقول الله فيه ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ .. (٢٥) ﴾ [التوبة] حتى أن الصِّديق نفسه يقول : لن نُغلَب اليوم عن قلة ، فبدأت المسألة بالهزيمة ، لكن الأمر كما تقول (صعبوا على ربنا) فأنزل السكينة عليهم ، وشاء سبحانه أن يسامحهم في هذه الزلَّة مراعاة لخاطر أبي بكر .

فقوله تعالى ﴿ وَكَانَ حَقًّا[1] عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾ [الروم] نعم ، نصر المؤمنين حَقٌّ على الله ، أوجبه سبحانه على نفسه ، فهو تفضُّل منه سبحانه ، كما يتفضل الموصِي بماله على الموصَى له .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) ﴾

الحق سبحانه يعطينا هنا مذكرة تفصيلية لعملية حركة الرياح ، وسَوْق السحاب ، وإنزال المطر ، وكلمة الرياح إذا جُمعَتْ دلَّتْ على الخير كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ .. (٢٢) ﴾ [الحجر]

---

(١) قال القرطبي في تفسيره (٧/٥٣٠٠) : « كان أبو بكر يقف على « حقاً » أي : وكان عقابنا حقاً ، ثم قال : « علينا نصر المؤمنين » ابتداء وخبر ، أي : أخبرنا به ولا خُلْف في خبرنا » .

أى : تُلقّح النباتات فتأخذ من الذكَر ، وتضع فى الأنثى ، فيحدث الإثمار ، ومن عجيب هذه العملية أن ترى الذكر والأنثى فى العود الواحد كما فى نبات الذرة مثلاً ، ففى (الشُّوشة) أعلى العود حبات اللقاح الذكر ، وفى الشعيرات التى تخرج من الكوز متصلة بالحبات توجد أعضاء الأنوثة ، ومع حركة الرياح تتناثر حبات اللقاح من أعلى وتنزل على هذه الشعيرات ، فتجد الشعيرة التى لُقحت تنمو الحبة المتصلة بها ، أما الأخرى التى لا يصلها اللقاح فتموت .

ولذلك نلحظ أن العيدان التى فى مهبِّ الريح أو ناحية بحرى أقلّ محصولاً من التى تليها ، لماذا ؟ لأن الرياح تحمل حبَّات لقاحها إلى العيدان الأخرى التى تليها ، فيزداد محصولها .

فإذا كانت بعض النباتات نعرف فيها الذكر من الأنثى كالنخيل . والجميز مثلاً ، فأين الذكر والأنثى فى القمح ، أو فى الجوافة ، أو فى الموز .

ولما درسوا حبوب اللقاح هذه وجدوا أن كل حبة مهما صَغُرت فيها أهداب دقيقة مثل القطيفة تتناثر مع الرياح ، ويحملها الهواء إلى أماكن بعيدة ؛ لذلك ترى الجبال والصحراء تخضرّ بعد نزول المطر ، فمَنْ بذر فيها هذه البذور ؟ إنها الرياح اللواقح بقدرة الخالق عز وجل .

ولنا وَقْفة عند قوله تعالى : ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ .. (٣٣)﴾ [الشورى] أى : السفن التى تسير بقوة الرياح تظل راكدة على صفحة الماء لا يحركها شىء ، فإنْ قُلْت : كيف نفهم هذا المعنى الآن مع تقدم العلم الذى سيَّر السفن بقوة البخار والديزل أو الكهرباء ، واستغنى عن الرياح ؟

ونقـول : الرياح من معـانيها الهـواء ، وهي أيضـاً تعنى القـوة مطلقاً ، كمـا فى قوله تعالى : ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ .. ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال] أى : قوتكم ، فالريح تعنى القوة على أىِّ وضع ، سواء أسارتْ بالرياح أو بالآلة ، فهو سبحانه قادر على أنْ يُسكنها .

لذلك تجد أن الرياح بمـعنى القوة لها قوة آنية ، وقـوة آتية ، آنية يعنى الآن ، وآتيـة تأتى فيمـا بعد ، وكذلك كل إنسـان وكل شىء فى الكون له نَفَس وريح وكيماوية خاصة به تمـيزه عن غيره وهذه مهمة كـلاب البوليس التى تشم رائحـة المتـهمين والمـجرمـين فى قضـايا المخـدرات مثلاً ، فالشـخص له رائحة الآن وهو موجـود ، وله رائحة تظلّ فى المكان حتى بعد أنْ يفارقه .

لذلك يُعلِّمنا القـرآن أن الريح هو أثبت الآثار فى الإنسـان ، واقرأ فى ذلك قـوله تعالى عن يوسف ويعـقوب عليـهمـا السلام : ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا .. ﴿٩٣﴾ ﴾ [يوسف]

وكـان يوسف فى مـصـر ، ويعـقوب فـى أرض فلسطين ، فلمـا فصلت[1] العيـر بقميص يوسف ، وخـرج من نطاق المبـانى التى ربما حجزتْ الرياح ، قـال يعقوب ﴿ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ .. ﴿٩٤﴾ ﴾ [يوسف] على بُعْد ما بينهما من المسافات[2] .

---

(١) فصل عن المكان : جاوزه . فالعير خرجت وجاوزت المدينة . [القاموس القويم ٢/٨٣] .

(٢) للعلماء فى تقدير هذه المسافة أقوال :

- عن ابن عبـاس عدة أقوال : مـسيرة ثمـانية أيام ـ عشـرة أيام ـ مسيـرة ثمانين فرسـخاً ـ مسيرة ستة أيام .
- عن الحسن البصرى أنها مسيرة شهر .
- وعن محـمد بن كعب ـ أنهـا مسيـرة سبعـة أيام . [ذكر السيـوطى هذه الأقوال فى « الدر المنثور فى الـتفسـير بالمأثور » (٤/٥٨١)] وعلى قـول ابن عباس أنـه مسيـرة ثمانين فرسخاً ، يكون معنى هذا أن المسافة هى أكثر من ٤٠٠ كيلو متر . على أساس أن الفرسخ ثلاثة أميال على الأقل ، والميل ١٧٦٠ متراً . والله تعالى أعلم .

وإذا أُفردت الـرياح دلَّتْ على الشر ، ومـعنى الرياح أن تأتى ريح من هنا وريح من هنا .. فتأتيك بالأكسـوجين أينما كان ، وتحمل إليك عبير العطور فى الكون ، فهى إذن تأتيك بالفائدة .

وقلنا : إن الأشياء الثابتة اكتسبتْ الثبات من وجود الهواء فى كُلِّ نواحـيهـا وجهـاتها ، ولو فـرَّغْتَ الهواء من ناحـية من نواحى إحـدى العـمارات لانهـارتْ فى الحـال ، كذلك الريح إنْ جـاءت مـفردة فـهى مدمرة ، وفيها العطب كما فى قوله تعالى : ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١)﴾ [الذاريات]

وقال : ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦)﴾ [الحاقة]

فقـوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ .. (٤٨)﴾ [الروم] فإرسال الرياح فى ذاته نعمة ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا .. (٤٨)﴾ [الروم] إثارة السحاب أى : تهيجه وتحركه ، وهذه نعمة أخرى .

والسحـاب عبارة عن المـاء المتبـخِّر من الأرض ، وتجمُّع بعـضه على بعض فى طبقـات الجو ، وماء المطر مـاء مُقطر بقدرة الله ، كـما نُجرى نحن عـملية التـقطير فى المـعامل مثـلاً ، فيأتينا المـطر بالماء العَـذْب النقى الزلال الذى قطرته لنـا عناية الخـالق سبـحـانه دون أنْ ندرى .

وإذا كان تقطيـر كوب واحد يحـتاج إلى كل هذه العـمليات ، وكل هذه التكلفة ، فما بالك بماء المطر ؟

وسبق أنْ قُلْنا : إن من حكمة الخالق سبحانه أنْ جعل ثلاثة أرباع اليابسة ماء لتتسع رقعة البَخْر ليكفى الربع الباقى ، وضربنا لتوضيح ذلك مثـلاً بكوب الماء حين تتركـه على المنضدة مثلاً ، وحـين تسكبه

فى أرض الغـرفة ، فـفى الحـالة الأولى يظل المـاء فتـرة طويلة ؛ لأن البَخْر قليل ، أما فى الأخرى فإنه سرعان ما يتبخر .

ثم يقول سبحانه : ﴿ فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ .. (٤٨) ﴾ [الروم] وانظر إلى طلاقة المشيئة ، فالمطر يصرفه الله كيف يشاء إلى الأماكن التى تحتاج إلى مطر ، ومن العـجيب أن الله تعالى حين يريد أن يرزق إنسـاناً ربما يـرزقه من سـحـاب لا يمر على بلـده ، وانظر مثـلاً إلى النيل ، من أين يأتى ماؤه ؟ وأين سقط المطر الذى يروى أرض النيل من أوله إلى آخره ؟

ومعنى ﴿ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا .. (٤٨) ﴾ [الروم] كسـفاً : جمع كسْـفة ، وهى القطعة ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ .. (٤٨) ﴾ [الروم] المطر ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ .. (٤٨) ﴾ [الروم] أى : من بين هذه السحب .

﴿ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) ﴾ [الروم] والإصابة قد تكون مباشرة ، فيهطل المطر عليهم مباشرة ، وقد تكون غـير مـبـاشـرة بأنْ تكون الأرض منحـدرة ، فينـزل المطر فى مكان ويسقى مكاناً آخر ، بل ويـحمل إليه الخصْب والنماء ، كـما كان النيل فى الماضى يحمل الطمى من الحبشة إلى السودان ومصر .

وكان هذا الطمى يستمر مع الماء طوال مجرى النيل وإلى دمياط ، فلماذا لم يترسب طوال هذه المسافات ؟

لم يترسب بسبب قوة دفع الماء وشدة انحداره ، بحيث لا يستقر هذا الطمى ولا يترسب .

وقوله : ﴿ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) ﴾ [الروم] لأن الرياح حيـن تمر عليهم تُبـشّرهم بالمطر ، وحـين ينزل المطر يُبشّـرهم بالزرع والنماء والخصْب والـخير ، كـما قـال تعالى : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا

عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴿٥﴾ ﴾ [الحج]

وأذكر وأنا صغير وبلدنا على النيل ، والنيل من أمامها متسع ، وبه عدة جزر يزرعها الناس ، فأذكر أننا كنا نزرع الذرة ، وجاء الفيضان فأغرقه وهو ما يزال أخضر لم ينضج بَعْد ، وكان الناس يذهبون إليه ويجمعونه بالقوارب ، ورأيت النساء تزغرد والفرحة على الوجوه ، فكنت أسأل أبى رحمه الله : النيل أغرق الزرع ، فلماذا تزغرد النساء ؟

فكان والدى يضحك ويقول : تزغرد النساء لأن النيل أغرق الزرع ، وهذا هو مصدر الخير ، وسبب خصوبة الأرض ، فلما كبرتُ وقرأت قصيدة أحمد شوقى[1] رحمه الله فى النيل :

مِنْ أىِّ عَهْدٍ فى القُرَى تتدفَّقُ وبأىِّ كَفٍّ فى المدائن تُغْدق
الماءُ تُرسلُه فيصبح عَسْجداً[2] والأرضُ تُغرقُها فيحيَا المغرَق

لما قرأتُ هذه القصيدة عرفت لماذا كانت النساء تزغرد حين يُغرق النيلُ الزرعَ .

والاستبشار لنزول المطر يأتى على حسب الأحوال ، فإن جاء بعد يأس وقحط وجفاف كانت الفرحة أكبر ، والاستبشار أبلغ حيث يأتى المطر مفاجئاً ﴿ إذا هُمْ يستبشرونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الروم] أما إنْ جاء المطر فى

(١) هو : أحمد شوقى بن على بن أحمد شوقى ، أشهر شعراء العصر الأخير ، يلقب بأمير الشعراء ، ولد ١٨٦٨ م بالقاهرة وتوفى ١٩٣٢ م عن ٦٤ عاماً . نشأ فى ظل البيت المالك ، درس الحقوق واطلع على الأدب الفرنسى ، كانت حياته كلها للشعر يستوحيه من المشاهدات والحوادث ، اتسعت ثروته وعاش مترفاً فى نعمة واسعة . [الأعلام للزركلى ١٣٧/١] .

(٢) العسجد : الذهب . وقيل : هو اسم جامع للجوهر كله من الدرّ والياقوت . [لسان العرب ـ مادة : عسجد] .

الأحوال العادية فإن الاستبشار به يكون أقلَّ .

ثم يقول سبحانه :

﴿ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

معنى ﴿ مُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الروم] آيسين من نزول المطر ، فإنْ جاءهم المطر بعد هذا اليأس كانت فرحتهم به مزدوجة ومضاعفة .

وللعلماء[1] وقفة حول هذه الآية ؛ لأنها كررتْ كلمة من قبل ، وبالتأمل نجد المعنى : من قبل أنْ ينزل عليهم ، وإنْ كانوا من قبل هذا القبل يائسين ، فهنا إذن قبلان .

ولا بُدَّ أن نفهم أن هناك إرسالاً للرياح التى تبشر بالمطر ، وهناك إنزال المطر ، فلما ينزل المطر يكون هناك قبلية له هى الإرسال ، فقبل الإرسال كان عندهم يأس ، وبعد الإرسال قالوا ربما لا تمطر .

إذن : هنا كم قبل ؟ قبل الإنزال وقبل الإرسال . فالمعنى : فهُمْ من قبله ـ أى من قبل أن ينزل المطر ـ من قبل هذا عندهم يأس .

﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

---

(١) هنا أقوال ذكرها القرطبى فى تفسيره (٧/٥٣٠١) :

ـ عند الأخفش : هذا تكرار معناه التأكيد . وأكثر النحويين على هذا القول . قاله النحاس .

ـ وقال قطرب : إن « قبل » الأولى للإنزال والثانية للمطر . أى : وإن كانوا من قبل التنزيل من قبل المطر .

ـ وقيل : المعنى : من قبل السحاب من قبل رؤيته . واختار هذا القول النحاس .

كأن الحق سبحانه أراد أنْ يستدلَّ بالمحَسِّ المنظور فى الكون على ما يريد أنْ يخبرنا به من الغيب من أمور البعث والآخرة ؛ لذلك يعلل بقوله : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)﴾ [الروم] فذكر مع الأرض الفعل المضارع يحيى ، والفعل المضارع يدل على التجدد والاستمرار وهذه عملية مُحسَّة لنا .

أما فى إحياء الموتى فجاء بالاسم محيى ، والاسم يفيد ثبوت الصفة ؛ ليؤكد إحياء الموتى ، ومعلوم أن الموت لا يشك فيه أحد ؛ لأنه مُشَاهد لنا ، أما البعث فهو محلُّ شكٍّ لدى البعض لأنه غيب .

ومع ذلك يقول تعالى عن الموت : ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥)﴾ [المؤمنون] ، فيؤكد هذه القضية مرة بإنْ ، ومرة باللام ، والموت شىء واقع لا ننكره ، فلماذا كل هذا التأكيد ؟

قالوا : نعم هو واقع لا نشك فيه ، لكنه واقع مغفول عنه ، فكأن الغفلة عنه كالإنكار ، ولو كنتم متأكدين منه ما غفلتم عنه .

فلما ذكر البعث قال : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)﴾ [المؤمنون] فأكدها بمؤكد واحد ، مع أنه محلُّ شكٍّ ، فكأنه لما قامت الأدلة عليه كان ينبغى ألاَّ يشك فيه ؛ لذلك لم يؤكده كما أكَّد الموت ، ولما غفلنا عن الأدلة كان واجباً أنْ يُؤكِّد الموت ، فأكَّد الموت ، ولم يؤكد البعث .

ومعنى ﴿فَانظُرْ .. (٥٠)﴾ [الروم] الأمر بالنظر هنا ليس (فنطزية) ولا (للفرجة) أو التسلية ، لأننا نقول : هذا الأمر فيه نظر يعنى : محلاً للبحث والتقصى لنصل إلى وجه الحق فيه ، بترجيح بعض الأدلة على بعض .

إذن : (فانظر) أى : نظر اعتبار وتأمل ؛ لأننا نريد أن نقيس الغائب عنا والذى نريد أن نخبر به من أمور الآخرة بالمنظور لنا من إحياء الأرض بعد موتها .

ففى الآية دليل جديد من أدلة قدرة الحق ووحدانيته ، وهو دليل كونى نراه جميعاً ، والحق سبحانه يُلوِّن الأدلة ليلفت المخلوق إلى عظمة الخالق ليؤمن به إلهاً واحداً قاهراً قيوماً مقتدراً ، وهذه الأدلة حجة تضىء العقل ، وآيات فى الكون تبرهن على الصِّدق ، وأمثال يضربها للناس فى الكون وفى أنفسهم ، ووعد لمن آمن ، ووعيد لمن خالف .

وهنا أيضاً دليل كونى مشهود فى الكون ، فالذى أحيا الأرض الميتة كما تشاهدون (لمحى الموتى) فى الآخرة كما يخبركم ، وجاء بصيغة اسم الفاعل الدال على ثبوت صفة الإحياء قبل أنْ يُحيى ، كما نقول : فلان شاعر فلم يكتسب هذه الصفة لأنه قال شعراً ، إنما هو شاعر قبل أن يقول ، كذلك الخالق سبحانه (محى) قبل أن يوجد منه الفعل ، وقادر قبل أنْ يخلق مقدوراً له ، وخالق قبل أنْ يخلق خَلْقاً ، فبالصفة فيه سبحانه خلق .

ولكى نُقرِّب الشبه بين إحياء الأرض بالنبات وإحياء الموتى يوم القيامة نقول : لو نظرنا إلى الإنسان لوجدنا هذا الهيكل الضخم الذى يزن إلى مائة كيلو أو يزيد ، أصل تكوينه ميكروب لا يُرَى بالعين المجردة ، حتى قالوا : إن أنسال العالم كله من الحيوان المنوى يمكن أنْ توضع فى حجم كستبان الخياطة ، إذا ملىء نصفه من المنى ، ثم يأخذ هذا الحيوان المنوى من الغذاء من الرزق فينمو ويكبر فى الحجم فقط ، لكن تظل الشخصية كما هى .

فإذا مات الإنسان يبْلَى هذا الجسد ، ويتحلل إلا عظمة الذنب ، فتبقى لا تتحلل ولا تأكلها الأرض لتكون هى البذرة التى تنبت الإنسان بقدرة الله يوم القيامة ؛ لذلك جاء فى حديث إحياء الموتى يوم القيامة : « فينبتون كما ينبت البقل »(١)

ففى هذه العظمة الصغيرة كل صفات الإنسان وخصائصه ، ومنها يعود كما كان قبل الموت ، كما نرى حبة السمسم مثلاً ، فهى رغم صغَرها إلا أنها تحمل كل خصائص هذا النبات كلها ، إذن : صِغَر الحجم دليل على القدرة ، فإذا ما وضعت هذه الحبة الصغيرة فى البيئة المناسبة تأخذ الغذاء من التربة ومن الهواء وتنمو وتكبر ، وهذا النمو وهذا الكبر لا يعطى شخصية جديدة إنما الشخصية ثابتة ، إنما يعطى تكبيراً لها فحسب .

لذلك لما شرَّحوا الأرنب وجدوه صورة طبق الأصل من تشريح الإنسان ، بمعنى أن فيه كل جوارح الإنسان وكل أجهزته ، حتى البعوضة فى حجمها الضئيل فيها كل الأجهزة ، لكن أين جهازها الهضمى وجهازها الدموى وجهازها العصبى والسمبتاوى والبولى .. الخ ، فدقَّة هذه المخلوقات دليل على القدرة .

وفى حضارتنا الحالية نجد أن من علامات التقدم العلمى أنْ نُصغِّر الكبير إلى أقصى درجة ممكنة ، وانظر مثلاً إلى الراديو أول ما

---

(١) أخرج البخارى فى صحيحه (٤٩٣٥) ، وكذا مسلم فى صحيحه (٢٩٥٥) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ما بين النفختين أربعون ، قال : أربعون يوماً ؟ قال : أبيت ، قال : أربعون شهراً ، قال : أبيت ، قال : أربعون سنة ؟ قال : أبيت . قال : ثم يُنزل الله من السماء ماء ، فينبتون كما ينبت البقل ، ليس من الإنسان شىء إلا يبلى ، إلا عظماً واحداً وهو عُجْب الذنب ، ومنه يُركب الخلق يوم القيامة » .

اخترعوه كان فى حجم النورج ، أما الآن فهو فى حجم علبة الكبريت.

إذن : فالعظمة أن تضع كل الأجهزة فى هذا الحجم الصغير ، أو تجعلها كبيرة فوق العادة وفوق القدرة ، كما فى ساعة « بج بن » مثلاً .

لذلك نرى الخالق سبحانه خلق الشىء الدقيق المتناهى فى الصِّغَر ، بحيث لا يُدرك بالعين المجردة ، ومع ذلك يحتوى على كل خصائص الشىء الكبير ، وخلق من المخلوقات الضخم الذى لا تستطيع أنْ تحدَّه .

إذن : حينما ينمو الشىء لا يزداد خصائص جديدة ، إنما تكبُر عنده نفس الخصائص ونفس المشخِّصات الأصلية فيه .

وسبق أنْ قُلْنا : لو أن إنساناً يزن مثلاً مائة كيلو أصابه مرض والعياذ بالله أفقده نصف وزنه ، نقول : أين ذهب هذا النقص ؟ ذهب إلى فضلات نزلتْ منه ؛ لأن الإنسان ينمو حينما يكون الداخل إليه من الغذاء أكثر من الخارج منه من الفضلات ، فإنْ تساوى يقف عند حَدٍّ معين لا يزيد ولا ينقص .

فإذا سخر الله لهذا المريض طبيباً يداويه ، فإنه يستعيد عافيته إلى أنْ يعود إلى وزنه الطبيعى مائة كيلو كما كان ، فهل عاد إليه ما فقده فى نقص الوزن ، أم عاد إليه مثله من عناصر الغذاء والتكوين ؟ عاد إليه مثل الذى فقده . إذن : فالشخصية هى هى باقية لا تتغير مع النقص أو الزيادة .

كذلك فالشخصية أو الخصائص موجودة فى هذا الميكروب الدقيق أو فى هذه الحبة الصغيرة ، إلى أنْ تُوضع فى بيئتها المناسبة ،

فتعطى نفس الشخصية أو نفس الخصائص لنوعها ، حتى قالوا : إن قدماء المصريين وضعوا مع الموتى بعض الحبوب ، وحفظوها طوال آلاف السنين ، بحيث إذا وُضِعت الحبة منها فى التربة المناسبة فإنها تنبت .

فإذا كان الإنسان يستطيع أن يستنبت الحبة بعد بضعة آلاف من السنين ، أيكون عزيزاً على الله أنْ يستنبت بذرة الإنسان ، ويُحيى الذرة الباقية منه فى الأرض حين ينزل عليها المطر بأمره تعالى يوم القيامة ؟

ثم إن الحبة الواحدة التى يستنبتها الإنسان تعطيه آلافاً من نوعها ، أما بذرة الإنسان والذرة الباقية منه فتعطى شخصاً واحداً لا غير ، أيصعب هذا على القدرة الإلهية ؟

لذلك يحثُّنا الحق سبحانه على التأمل فى قوله ﴿ فَانظُرْ .. (٥٠) ﴾ [الروم] لا نظر عين ، ولكن نظر تأمُّل وتعقُّل واستنباط ، وربنا ينعى علينا الغفلة فى التأمل ، فيقول سبحانه : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) ﴾ [يوسف]

ونسمى الجدل لإظهار الحقائق (مناظرة) ، يناظر كل منَّا الآخر ، لا نظرَ عين ، ولكن نظر عَقْل واستنباط .

﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ .. (٥٠) ﴾ [الروم] أى : الذى أحياها ﴿ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ .. (٥٠) ﴾ [الروم] وما دام قد ثبتتْ له صفة الإحياء ، فإذا أخبرك بأنه يُحيى الموتى ، فصدِّق وخُذْ مما شاهدته دليلاً على ما غاب عنك .

ثم يختم الحق سبحانه هذه الآية بصفة أخرى تؤكد صفة الخَلْق

والإحياء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾ [الروم] فغير أنه سبحانه حيٌّ ومحيى له سبحانه صفات الكمال ، والقدرة على كل شىء علماً وقدرةً وحكمة وبَسْطاً وقبضاً ونفعاً وضراً .. إلخ .

فبعد أنْ ذكر الحدث فى الفعل المضارع الدال على الاستمرار ﴿يُحْيِي .. ۝٥٠﴾ [الروم] ذكر الاسم الدال على ثبوت الصفة ﴿لَمُحْيِي .. ۝٥٠﴾ [الروم] ثم جاء بكل صفات الكمال فى ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾ [الروم]

يريد الله أن يبين أن الإنسان كنود[1] ، وأنه خُلق جزوعاً ، إنْ مسَّه الشر يجزع ، وإنْ مسه الخير يمنع ، فلما كان يَائساً من الهواء يهبُّ عليه أرسل الله إليه الرياح ، وبعد أنْ كان يائساً من قطرة الماء أنزل الله عليه المطر مدراراً ، فهل أخذ فى باله هذا العطاء ، بحيث إذا أصابه يأس من شىء طلب فرجه من الله ، وأزاح اليأس عن نفسه وقال : إن لى رباً ألجأ إليه ، ولا ينبغى لى أن أقنط وهو موجود ؟

فالذى فرج عليك من يأس الرياح ومن يأس المطر قادر أنْ يُفرِّج عنك كل كَرْب ؛ لذلك ينبغى أن يكون شعار كل مؤمن : لا كرْبَ وأنت ربٌّ ، ما دام لك ربٌّ فلا تهتم ولا تيأس ، فليستْ مع الله مشكلة المشكلة ألاَّ يكون لك ربٌّ تلجأ إليه .

وهذا هو الفرق بين المؤمن والكافر المؤمن له رَبٌّ يلجأ إليه إنْ عزَّتْ عليه الأسباب ، أما الكافر فما أشقاه ، فإنْ ضاقت به الأسباب لا يجد صدراً حنوناً يحتويه ، فيلجأ فى كثير من الأحوال إلى الانتحار.

لذلك كان سيدنا رسول الله ﷺ إذا حَزَبه أمر يقوم إلى الصلاة ،

---

(١) كند النعمة يكندها : جحدها ولم يشكرها فهو كاند ، وصيغة المبالغة كنود أى : كفور شديد الجحود [القاموس القويم ٢/١٧٥] .

وكان يقول : « أرحنا بها يا بلال »(1) ففى الصلاة تختلى بربك وخالقك ، وتعرض عليه حاجتك ، وتستمد منه العون والقوة .

كذلك يُعلِّمنا هذا الدرس نبى الله موسى ـ عليه السلام ـ فحينما خرج ببنى إسرائيل وأدركه فرعون وقومه ، فوجدوا أنفسهم محاصرين ، البحر من أمامهم والعدو من خلفهم ، قالوا لموسى ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) ﴾ [الشعراء] وهذا منطق البشر وواقع الأشياء ، لكن كان لموسى منطق آخر ينطلق فيه من وجود رَبٍّ قادر يلجأ إليه فى وقت الشدة فيفرجها عنه .

فقال موسى بملء فيه (كلا) قالها على سبيل اليقين قَوْلَة الواثق من أن ربه لن يتخلى عنه ، لم يقُلْها برصيد من عنده ، إنما برصيد إيمانه فى الله ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) ﴾ [الشعراء] وهذا هو المَفْزَع لكل مؤمن .

لِمَ لا ، وأنت إنْ كانت لديك قضية ترتاح إنْ وكَّلْتَ فيها محامياً يدافعَ عنك ، فما بالك إنْ وكَّلت رب الأرض والسماء ، فكان هو سبحانه المحامى والقاضى والشاهد والمنفِّذ للحكم ؟

وأنت ترى القاضى فى الدنيا يحكم ببينة قد يُدلَّس فيها ويحكم ، ويحكم بإقرار لا يستطيع أنْ ينتزعه من صاحبه ، أو بشهادة الشهود ، وقد يكونون شهودَ زور ، ثم هو بعد ذلك لا يملك تنفيذ حكمه ، فهناك سلطة قضائية تحكم وسلطة تنفيذية تنفذ ، حتى السلطة التنفيذية يستطيع المجرم أن يفلت منها .

أما فى محكمة العدل الإلهى ، فقاضيها هو الحق ـ سبحانه

---

(1) عن حذيفة قال : « كان النبى ﷺ إذا حزبه أمر صلى » أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٥/٣٨٨) وأبو داود فى سننه (١٣١٩) .

وتعالى - فلا يحتاج إلى بينة أو إقرار أو شهود ، ولا يستطيع أحد أنْ يُدلِّس عليه سبحانه ، أو أنْ يُفلت من حكمه ؛ لذلك قال تعالى عن نفسه : ﴿وهو خير الحاكمين ﴿٨٧﴾﴾ [الأعراف]

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾

لك أن تلحظ الفرق بين أسلوب هذه الآية ﴿ولئن أرسلنا ريحا .. ﴿٥١﴾﴾ [الروم] والآية السابقة ﴿الله الذي يرسل الرياح.. ﴿٤٨﴾﴾ [الروم] فيرسل : مضارع دالٌّ على الاستمرار ، والرياح كما قلنا لا تُستعمل إلا في الخير ، فكأن إرسال الرياح أمر متوافر ، وكثيراً ما يحدث فضلاً من الله وتكرُّماً .

أما هنا ، وفي الحديث عن الريح ، وسبق أنْ قُلْنا : إنها لا تستعمل إلا في الشر ، فلم يقُلْ يرسل ، بل اختار (إن) الدالة على الشك ، والفعل الماضي الدال على الانتهاء لماذا ؟ لأن ريح الشر نادراً ما تحدث ، ونادراً ما يُسلِّطها الله على عباده ، فمثلاً ريح السَّمُوم تأتي مرة في السنة ، كذلك الريح العقيم جاءتْ في الماضي مرة واحدة ، كذلك الريح الصرصر العاتية .

إذن : فهي قليلة نادرة ، ومع ذلك إنْ أصابتهم يجزعون وييأسون ، وهذا لا ينبغي منهم ، أليست لهم سابقة في عدم اليأس حين يئسوا من إرسال الرياح ، فأرسلها الله عليهم ومن إنزال المطر فأنزله الله لهم ، فلماذا القنوط والرب موجود ؟

ومعنى ﴿فرأوه .. ﴿٥١﴾﴾ [الروم] أي : رأوا الزرع الذي كان